

حُسنُ استخدامِ أوقاتِ الفراغِ

هدف من أهداف التربية العصرية

بقلم الأستاذ س . م

كان التأكيد في التربية قبل هذا القرن ينصب على قيمة العمل للكسب وضرورة التمهيد في الاختصاص بمعرفة للعيش . ومع أن هناك مواد كانت تدرس مع بعدها عن هذا الغرض فإن رجال التربية كانوا يزكونها باعتقاد أنها مفيدة حتى في كسب العيش . مثال ذلك مواد الآداب والتاريخ والرِياضيات العليا . فإن المدرسة كانت تعتذر عنها بأن لها فائدة ما في تحصيل العيش وأنها ليست للفراغ فقط .

بل إن لفظة "الفراغ" كانت مكروهة . وكانت تقترن إلى الفساد كما يقول البيت العربي :

إن الفراغ والشباب والجدوة مفسدة لآراء أي مفسدة

وكانت الدعوة إلى الجهد والمثابرة وتجنب التواني والكسل من الدعوات التي تلت كل تأييد من رجال التربية . والواقع أن نظام العمل سواء في الزراعة أم الصناعة أم التجارة كان يعلى من هذه الفضائل ويكبر من قيمتها . لأنها كانت ضرورية ولم يكن يمكن النجاح بدونها . وذلك لأن العمل في القرون الماضية كان يشبه إلى حد بعيد العمل الزراعي في مصر الآن . هو في طبيعته بطيء الحركة لا يجهد ولا يفضي . ولكنه يحتاج إلى وقت طويل . أما الآن فإن الآلات تأخذ مكان اليد الإنسانية وجهد الحديد يقوم مقام جهد العامل . وأصبح العمل في المصانع — بل أيضا في المتاجر والمزارع — فترات قصيرة ولكنها سريعة الحركة تتطلب أقصى ما يمكن من اليقظة والجهد حتى تعود الراحة بعد ذلك واجبا محتوما لصحة النفس والجسم . وأحيانا نقرأ مقالات لبعض السيكلوجيين — في أميركا خاصة — يدعون فيها القراء إلى ضرورة الاسترخاء ومنع الجسم فترات من الراحة والتكاسل . ولم نجد نجد أحدا يدعو إلى الجهد والمثابرة ومواصلة الليل بأطراف النهار في الكد والكبح . ويجب ألا نعجب من هذا التغير وخاصة حين نعرف أن فرط الاندفاع في المزاومة العصرية قد أدى إلى أن صار نصف المرضى في المستشفيات الأمريكية يشكون أمراضا نفسية وعقلية .

ومن هذه الظروف تتضح لنا قيمة العناية عند الأمريكيين باستخدام الفراغ . فإن هذا الفراغ قد أوجدته الصناعات العصرية ثم هي لاحتدام العمل فيها قد جعلت للراحة والترفيه والاسترخاء قيمة كبيرة أيضا حتى يحفظ العامل سلامة نفسه قبل سلامة جسمه .

ولا تعجب بعد ذلك اذا رأينا ان " لجنة التربية " في أمريكا تهتم باستخدام الفراغ جزءا من التعليم المدرسى .

وقد كان الفراغ الى وقت قريب من حظ الأغنياء فقط . ولم يكن استخدامه يسير على أحسن الأساليب التي ترقى الجسم أو النفس . فكلنا يعرف كيف كان الأمراء والأغنياء في العصور الماضية وفي العصر الحاضر في بعض الأمم يتسلون بالصيد والمراهنة على سباق الخيل والقروصية ونحو ذلك . وهناك التوقل على الجبال والترحاق والألعاب الرياضية المختلفة من لعبة التنس الى لعبة الهوكي . وهناك أيضا ألعاب التسلية كالشطرنج . وأخيرا لا ننسى أن الفراغ قد يفسد صاحبه بتعوده عادة سيئة كالإدمان على المسكرات .

والصناعات العصرية بتعديدها وقت العمل في ثمانى ساعات وأحيانا في ست ساعات وأيضا بمنحها العامل إجازة أسبوعية قدرها يوم ونصف وأحيانا يومان ، وهذا غير الإجازات السنوية — هذه الصناعات قد جعلت فراغ العامل طويلا يحتاج إلى ملئه بالمفيد من المصليات التي ترقيه بل يحتاج إلى تعليمه وهو صبي أو شاب كيف يملأ هذا الفراغ وكيف ينتفع به صحة في جسمه ورقيا لذنه وسكينة لنفسه .

ويجب ألا ننسى هنا التمثل الذي أصبح لازمة من لوازم الحضارة الصناعية في نظامها الديمقراطي الحاضر . فان المتعطلين هم الجيش الاحتياطي للصناعة . وهم بالطبع يستمتعون بفراغ قد يطول السنوات المتوالية وهم يعانونه معاناة المثل .

وخاصة إذا لم يكونوا قد تعلموا شيئا من فنون الفراغ . وليس شك في أن هذا التمثل الذي يصيب الملايين من العمال في الأمم المتحضرة سوف يوزع باسم الفراغ على جميع العمال حتى يعملوا جميعهم فتتخفف ساعات عملهم اليومية وتراد إجازاتهم السنوية بدلا من أن يتعطل فريق منهم ويعمل فريق آخر طول العام . وليس بعيدا أن تتخفف ساعات العمل إلى خمس أو ست ساعات في اليوم في المصانع العصرية بين جميع العمال . وعندئذ يواجه العامل نحو ١٩ ساعة من يومه يجب عليه أن يوزعها بين فراغه ونومه .

ومن هنا التأكيد الجدي في التربية الحديثة على فنون الفراغ . فان الناس يجب أن يتعلموا من المدرسة حرفة يكسبون بها عيشهم . ولكن يجب أيضا أن يتعلموا كيف يقضون فراغهم الذي ازداد هذه السنوات الأخيرة وهو في ازدياد مستمر . لأن كل تحسن آلى في المصانع ينقص ساعات العمل فيزيد التمثل ، وهو كما قلنا ، صورة أخرى للفراغ .

وإذا نحن أهملنا فنون الفراغ فأنما نهني للشباب بذلك أن ينغمس في ألوان من التسلية التي قد لا تنفيد أو قد تضر . فان الإدمان على التدخين أو الشراب وألعاب التسلية

السخيفة والمراهنات ، بل أحيانا سأم الحواء الذهني الذي يؤدي الى الرغبة في اللذات الصغيرة ولو بزيادة الأكل — كل هذا وأكثر منه هو ثمرة الإهمال لفنون الفراغ .

وفنون الفراغ يجب أن تتناول الجسم والنفس بالترقية والترفيه . فأما الجسم فإن الألعاب الرياضية تؤدي شيئا كثيرا لخدمته باستبقاء الشباب والصحة . ولكن يجب ألا تكون من تلك الرياضات العنيفة التي يكف عنها من دخل في العقد الرابع من عمره . وعندئذ لا يجد بدلا منها فيستسلم للركود والسكون . كما أننا يجب ألا ننسى قيمة تلك الرياضات المخففة التي يعمد اليها الأوربيون مثل صيد السمك بالصنارة . ولعل القراء يستغربون أن أحسن الكتب التي ألقت في هذا الموضوع في إنجلترا وضمها اللورد جراي وزير الخارجية البريطانية مدة الحرب الكبرى الماضية . وصيد السمك بالصنارة يحتاج الى الاختلاء والانفراد ، وهو لا يطالب الصائد بمجهود كبير ، ولذلك يتيح له التفكير . وهو من أليق الرياضات للسياسي والأديب والفنان . ومن الحسن أن يتعلم الشاب كثيرا من هذه الفنون كالتجديف والصيد والسباحة وغرس النباتات والتجارة . وقد شاع النسيج بين بعض السيدات عندنا — ونعني هنا نسيج السجاد — فكان شغلا جميلا للفراغ .

ثم هناك فنون الفراغ لترقية النفس ، وما يتعلمه الشبان في الوقت الحاضر من الآداب والتاريخ والعلوم إنما يعد من فنون الفراغ لو أننا غررنا الرغبة في أذهان الشبان المتعلمين في درسها ودرستهم على الأسلوب الذي يجب أن يتبعوه لكي يستريدوا منها بعد تخرجهم ، فإن الشاب الذي شغف بالقراءة يعرف كيف يؤنس نفسه في وحدته وهو لا يسأم الانفراد ولا يرغب في الفرار منه بانخاذ الأساليب السيئة ، ومن هنا أيضا قيمة الهواية التي كثيرا ما نهبها عنها ، فإن عملا أو دراسة أو رياضة يهواها الشاب ويتعلق بها وينفق عليها من ماله وجهده جدير بترقيته وصيانة صحته الجسمية والنفسية ووقايته من رذائل يقع فيها الكارهون لفراغهم العاجزون عن استخدامه .

وخلاصة القول أن العصر الحديث يزيد فراغ الناس ، والمستقبل كقيل بزيادة هذا الفراغ أكثر وأكثر ، فيجب أن نعد الشباب له بفنون جديدة ترقى النفس والجسم وترفعه عنهما وتقيهما من رذائل قد يقعون فيها . وهذا واجب جديد على الآباء والمعلمين .